إذا علمت ذلك ، وعلمت الشرك بالله الذي حرمه الله أشد من تحريم الزنى ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والذي قال الله فيه : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء : 48] ، وعرفت دين الرسل من أولهم إلى آخرهم ، الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما وقع فيه فئام (1) من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرك ، وضممت إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان » مسلم .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة » وذو الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية)متفق عليه
وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى » (الصحيحة)
إذا علمت ذلك أفادك فائدتين :

---

(1) أي : جموع كثيرة .

الأولى : الفرح بفضل الله وبرحمته ، قال تعالى : { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } [يونس : 58] .

الثانية : الخوف العظيم من الشرك ، فإن سادات الأولياء خافوا منه كمثل نبي الله وخليله إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال الله عنه أنه دعا ربه بقوله : { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم : 35] ، وقال نبي الله وخليله محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم » (1) ، وخصوصا أن الله قص علينا في القرآن الكريم عن قوم موسى عليه السلام مع صلاحهم وعلمهم ، وأن الله فضلهم على أهل زمانهم ، بدليل قوله تعالى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 47] ، مع ذلك طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم إلها غير الله يعبدونه ، كما أن للمشركين آلهة يعبدونها ، قال تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف : 138] يعني : تجهلون عظمة الله ، وما ينبغي أن ينزه عنه من الشريك .

عن حذيفة بن اليمان قال : « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال : " نعم " فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : " نعم ، وفيه دَخَن " قال : قلت : وما دَخَنه ؟ قال : " قوم يستنُّون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر " قلت :

هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها " فقلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : " نعم ، هم قوم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا " قلت : فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " فقلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » وفي رواية لمسلم : « يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ، ولا يستنون بسنتي ،وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » متفق عليه.

فيا أخي المسلم احذر من الشرك، ووسائل الشرك كالبناء على القبور مساجد أو غيرها، أو أن تقصد قبرًا يدعى من دون الله أو يذبح لصاحبه، فإن الشرك خافه أبونا إبراهيم عليه السلام على نفسه قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: { وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم: 35]. أي جنبنا أن ندعوها من دونك يا رب، والأصنام يعلمون أنها جامدة لكنها تمثل أشخاصا صالحين من ورائها.

قال الإمام إبراهيم التيمي (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟).

لعظم أمر التوحيد .. خاف الأنبياء من فقده ..

فذاك أبو الموحدين .. محطم الأصنام .. وباني البيت الحرام .. إبراهيم عليه السلام .. يبتهل إلى الملك العلام .. ويقول : { واجنبني وبني أن نعبد الأصنام } .. ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ ..

بداية الانحراف ..

أول ما حدث الشرك في قوم نوح ..

فبعث الله نوحاً .. فنهاهم عن الشرك .. فمن أطاعه ووحد الله نجى ..

ومن ظل على شركه .. أهلكه الله بالطوفان .. وبقي الناس بعد نوح على التوحيد زماناً .. ثم بدأ إبليس في الإفساد .. ونشر الشرك بين العباد ..

ولم يزل الله تعالى يبعث المرسلين مبشرين ومنذرين ..

إلى أن بعث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .. فسارت الأمة على التوحيد ..

إلى أن عاد الشرك إلى بعضهم بسبب تعظيم الأولياء والصالحين ..

بنيت الأضرحة على قبورهم .. وصرف الدعاء والنذر لمقاماتهم ..

وسموا هذا الشرك توسلاً بالصالحين .. وزعموا أن تعظيمهم لقبور هؤلاء .. تقربهم إلى الله زلفى ..

ونسوا أن هذه حجة المشركين الأولين حيث قالوا عن أصنامهم : { ما نعبدهم إلى ليقربونا إلى الله زلفى } ..

نعم أبو جهل وأبو لهب كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم.. لكنهم أشركوا معه آلهة أخرى ظنوا أنها توصل إليه .. وتشفع لهم عنده ..

وعند أحمد وصححه الألباني من حديث عبد الله الزرقي (أنه قَالَ : (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ ، وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللهِ S : اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِي عَلَى رَبِّي ، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفاً .. وذكر في دعائه .. اللهمَّ إني أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللهمَّ إني عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ ، اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا ، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ ، اللهمَّ قَاتَلِ الْكَفَرَةَ الذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللهمَّ قَاتَلِ الْكَفَرَةَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ)

الحديث قد لا يصح

ألا ترى كيف قال الله تعالى لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم معناه لولا ما عصمناه ورحمناه لأتى ما يذم عليه على أصل الجواز لا على فرع الوقوع

وهذا من النمط الذي قدمناه في قصة إبراهيم عليه السلام حيث قال واجنبني وهي أن يعبد الأصنام وهو قد أمن من ذلك بالخبر وقوله تعالى في قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا الآية وقوله تعالى لنبينا عليه السلام ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وهو تعالى لم يشأ ذلك بالخبر

وأما قوله تعالى لنبينا عليه السلام فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت يعني كيونس عليه السلام في فراره حين ضاق صدره كما قدمناه وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون كما ضاق صدر يونس فلا تفر كفراره

ولذا جاء عنه عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى

وفيها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

وفيها وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الأصنام

كما قدمنا قوله في البقرة حيث قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك الآية

ثم قال بعد ذلك رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي

فانظر إلى هذا النبي المكرم على الله وهو خليله دون خلقه كيف يتضرع إلى مولاه فمرة يقول واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ومرة يقول واجنبني وبني أن نعبد الأصنام

ومرة يقول رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي على نحو قوله فيما قدمناه اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

وفي هذه السورة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء أي يضل من يشاء فلا يوفقه ويهدي من يشاء فيوفقه وقوله ويضل الله الظالمين أي لا يوفقهم في الحياة الدنيا إلى الإيمان هكذا جاء في تفسير هذه الآية

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم عليه السلام وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائح عبادتها طبق الأرض قال إمام الحنفاء واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس إبراهيم 35 36 والأمم التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص الله عز و جل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض مصلى الله عليه و سلم أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وقد قال الله تعالى فأبي أكثر الناس إلا كفورا الإسراء 89 وقال تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الأنعام 116 وقال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين يوسف 103 وقال تعالي وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين الأعراف 102 ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل

نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها فهم يشاهدون مصارِع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما ويوصي بعضهم بعضا بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر غير ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ ولا يزيده ذلك إلا إقداما وحرصا علي الوصول والظفر بحاجته فهكذا الفتنه بعبادة الأصنام وأشد فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن الله سبحانه بريء منهم هو وجميع رسله وملائكته وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملا وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف وقد أباح الله عز و جل لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة فهؤلاء في شق ورسل الله في شق

قوله: " {وَاجْنُبْنِي} " أي أبعدني واجعلني في جانب بعيد " {أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ} " خاف من عبادتها.

مع هذه المنزلة العظيمة التي نالها إبراهيم عليه السلام من ربه، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟"، فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ} .

وفي هذا أبلغ الرد على هؤلاء الذين يقولون: لا خوف على المسلمين من الوقوع في الشرك بعدما تعلموا وتثقفوا، لأن الشرك بعبادة الأصنام شرك ساذج يترفع عنه المثقف والفاهم، وإنما الخوف على الناس من الشرك في الحاكمية، ويركزون على هذا النوع خاصة، وأما الشرك في الألوهية والعبادة فلا يهتمون بإنكاره، وعلى هذا يكون الخليل عليه السلام وغيره من الرسل إنما ينكرون شركاً ساذجاً!!، ويتركون الشرك الخطير وهو شرك الحاكمية كما يقول هؤلاء.

قال: "وفي الحديث" أي الحديث الذي رواه أحمد والطبراني والبيهقي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأصحابه: "أخوف ما أخاف عليكم

الشرك الأصغر" ، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأبي بكر وعمر ولسادات المهاجرين والأنصار، الذين بلغوا القمّة في التّوحيد والإيمان والجهاد في سبيل الله، ومع هذا الرسول يخاف عليهم، فمن يأمن بعد هؤلاء؟: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" ، فسئل عنه فقال: "الرياء" هذا دليل على اهتمام الصحابة في الأمر،

أن الآية الأولى تدل على أن الشرك أعظم الذنوب، لأن من مات عليه لا يُغفر له، وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه، والآية الثانية تدل على أن إبراهيم خاف الشرك على نفسه ودعا الله أن يعافيه منه، فما الظن بغيره، فالآيتان تدلان على وجوب الخوف من الشرك.

ما يستفاد من الآيتين:

1- أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه.

2- أن ما عدا الشرك من الذنوب إذا لم يتب منه داخل تحت المشيئة -إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذب به- ففي هذا دليل على خطورة الشرك.

3- الخوف من الشرك، فإن إبراهيم عليه السلام -وهو إمام الحنفاء والذي كسّر الأصنام بيده -خافه على نفسه فكيف بمن دونه.

1- مشروعية الدعاء لدفع البلاء، وأنه لا غنى للإنسان عن ربه.

2– مشروعية دعاء الإنساء لنفسه ولذريته.

3– الرد على الجهال الذين يقولون: لا يقع الشرك في هذه الأمة فأَمِنوا منه فوقعوا فيه.